نشأة الثقافة العربية الإسلامية
نظرة إلى العراق

للدكتور عبد العزيز الدوري

ان نشأةَ الثقافة العربية الاسلامية ظاهرةٌ معقّدة تتطلّب دراسة بيئاتها والعناصر المكوّنة لها ، والاتجاهات والتطورات الخاصة . وفيما يلي محاولة أولية لرسم الخطوط العامة (١) .

ادّى التوسّع العربي الاسلامي — الذي رافقه التمصير برسالة — الى فتح ابواب البلاد الخصيبة الى الشمال امام القبائل المندفعة باستمرار من الجزيرة العربية ، وشجّعت الخلافةُ الهجرةَ الى الأمصار واعتبرتها لازمة للانتماء الكلّي للأمة (٢) . واعتبرت العودة الى البادية ، بعد الهجرة ، امرا مكروها (٣) . وهذا ادى الى استقرار متزايد للقبائل في البلاد المفتوحة .

واتجهت سياسة التمصير ابتداء الى وضع القبائلة في مجموعات متماسكة في المراكز الجديدة ، في دُور هجرة مثل البصرة والكوفة ، وفي قرى أو مناطق قرب المدن القديمة (كما في الأجناد في الشام) ، أو في أماكن استراتيجية (كما في انحاء من الجزيرة الفراتية) .

واستمرت القبيلة أو العشيرة اساسا في تنظيم السكن والعلاقات الاجتماعية في الأمصار . وكانت القبيلة — عند خروجها من الجزيرة — تتوزع عادة بين اكثر من مركز أو منطقة ، ثم نُظّمت المجموعات القبلية ، لأغراض التعبئة العسكرية، في وحدات كبيرة ، على الاسباع (ثم الارباع) في الكوفة مثلا، وعلى الاخماس في البصرة .

وساعدت الاقامة في بلد واحد ، وظهور مصالح جديدة ، والمصاهرات بين القبائل ، اضافة الى تاثير المفاهيم الاسلامية، على ظهور ولاءات محلية ، واوجدت ظروفا ثقافية جديدة ، وساعدت

على قيام تكتلات جديدة (٤) . وهـذا يوضح كيف ان القبائـل الواحدة او القريبة ، والتي تعيش في امصار او اقطار مختلفة ، لم تتخذ موقفا واحدا في القضايا العامـة . وكل ذلك ساعد على ظهـور اتجاه نحو الوحدة بين القبائل فـي المصر الواحد .

وكان كـلٌّ من الكوفة والبصرة بابا للبادية الـى السواد ؛ وهذا يوضح إحدّ مـاء اطّراد الهجرة اليهما . وأكّد هـذه الهجرةَ استمرارُ الصلات بـين عشائر المصرين وبين اقربائهـا من القبائل الرحالة في البوادي المجاورة . هذا الى ان جماعات من المقاتلة (خاصة من ربيعة وتميم) استمرّت على العيش في الباديـة مع استعدادها لتلبية النـداء للمشاركة في الحملات حين استقـر الآخرون في الكوفـة والبصرة (٥) .

ولـم تُشجَّع الاقامة بين السكان المحليين في البـدء ، ونُظِر اليها بشيء من الإنكار (٦) . وهكذا فان عزلة المقاتلـة ، وهي ضرورة عسكرية واجتماعية في البـدء ، كان لها اثرها في توفير جـوٍّ للوحدة والاستمرار الثقافي ، وساعدت علـى جذب الآخرين الى اطار المجموعـات العربية — الى الاسـلام والعروبة .

— وكانت اللغة العربيـة اساس الهُوِيَّة العربية ، فالنـاس عرب او عجم بافتهـم . اما المفاهيم المتّصلة بالنسب والتـي تنطوي على مفهوم الجذور البشريـة عند القبائل ، فانها لـم تُطمس هذا الاساس . فحين قال الحجّاج لأهـل الكوفة : « لا يؤمنكم الا عربـي » ، وثب بعضهم بالقارىء يحيى بـن وثاب ، وهو مولى ، لعزلـه عن الامامة ، فاعترض الحجاج قائلا : « وَيْحَكم، إنمـا قلتُ عربي اللسان » (٧) . وهكـذا صارت اللغة ، لا الـدم ، اساس العروبة (٨) .

ولمـا كانت العربية لغـة القرآن ، فقد ارتبطت بالاسلام ، مما اكسبها حرمـة وساعد على انتشارها . فكـان دخول الاسلام يعني تعلُّمَ العربية ، وربّما المشاركـة في الثقافة العربية . وتكاد « العربية »

ان تكون مرادفة للاسلام في الفترات الاولى (٩) . فلما سأل ابو جعفر (المنصور) مولى لهشام بن عبد الملك عن هويّته ، قال : « ان كانت العربية لساننا فقد نطقنا بها ، وان كانت ديننا فقد دخلنا فيه » (١٠) .

ـ كانت القبائل العربية تندفع باستمرار الى الاراضي الخصبة . وقد انتشرت في الجزيرة الفراتية بين دجلة والفرات قبل الميلاد ، وكان بعضها متبديا والآخر مستقرا (١١) . فكان مركز قضاعة في الحضر (١٢) ، وكانت ربيعة وتنوخ في الجزيرة (١٣) ، والتمر بن قاسط في عين التمر (١٤) . وانتشرت تغلب من عين التمر وعانات على الفرات شمالا حتى جبل بشري،وكانت من رعاة وفلاحين (١٥) . وكان في ماضر الرقة (ريفها) قوم من العرب (١٦) . وكانت اياد في الفرات الاوسط وأطراف الجزيرة الفراتية ، ثم تحرّكت في فترة الفتوح الى الجزيرة (١٧) .

وكانت في الحيرة قبائل عربية ـ تنوخ والعباد وجماعات اخرى (الاحلاف) ، وامتدّ بعضها الى الانبار (١٨) . ويقول الهمداني : « الانبار والحيرة والقصر الابيض ... وسنداد والخورنق والسدير وبارق ، محاضر العرب القديمة من حيز العراق » (١٩) . وانتشرت بكر بن وائل في البوادي المُطِلّة على السواد بين القادسية والخليج العربي (٢٠) .

هكذا وبنهاية القرن السابع للميلاد كانت مناطق الفرات الأسفل والأوسط والجزيرة الفراتية قد تَعَرَّبت لِحَدٍّ كبير .

وفي فترة الفتوح وبعدها جاءت قبائل وجماعات جديدة الى العراق ؛ فقد ارتفع ديوان البصرة مثلا من ١٠٠ر٠٠٠ الى ١٠٠ر٠٠٠ أيام عثمان ، ثم الى ٤٠٠ر٠٠٠ و (٨٠٠ر٠٠٠ من العيالات) ايام علي ، ثم الى ٨٠٠ر٠٠٠ (و ١٢٠ر٠٠٠ من العيالات) في ولاية زياد بن ابيه (٢١) ، ثم الى ٩٠٠ر٠٠٠ (١٤٠ر٠٠٠ من العيالات) في ولاية عبيد الله بن زياد (٢٢) . وفي الكوفة ارتفع الديوان من ٢٠٠ر٠٠٠ سنة ١٧ هـ الى ٤٠٠ر٠٠٠ سنة ٢٥ هـ (٢٣) ، الى ٦٠٠ر٠٠٠ في اواسط القرن الاول الهجري (٢٤) .

ونزلت مجموعات قبلية ، من تميم وبكر واليمن — خاصة خولان وهمدان والأزد — الموصل في خلافة عمر . وتحوّلت الحديثة ، على الزاب الأعلى ، الى قرية عربيّة بمن نزلها من العرب (٢٥) . ونزلت قبائل عربية في سنجار وراس العين (٢٦) ، وجاءت جماعات كبيرة من قيس الى الجزيرة . ثم ان معاوية اتى بمجموعات من قيس واسد واوطنهم اماكن ستراتيجية بين الرقة وسنجار ، كما ثبّت ربيعة في ديارها من الجزيرة (٢٧) . واستمرّت الهجرة الى الجزيرة الفراتية، وادّت الى تكوين ديار مضر وديار ربيعة (٢٨) . لذا راى مروان بن محمد ، آخر الامويين ، انه يستطيع الاستناد الى قيس في تكوين قُوّاته،وانتدب منها عشرين الفا (٢٩) .

— وكان للعوامل الجغرافية والبشرية اثرها في العراق ، فقد كان ملتقى الثقافات الساميّة والآريّة،اضافة الى كونه مهد الحضارة الساميّة .

كان سكان العراق (النبط) ، وهم ساميّون يتكلمون الآرامية . اما الفرس فكانوا فئة حاكمة في المدن الرئيسية (مثل طيسفون ونصيبين) ، وبينهم الملاّكون الكبار والجنود في الحاميات ، وجُلّهم طردوا اثناء الفتح او أُسروا (٣٠) . ولكنّ بعضهم بقي في المدن،مثل الحيرة ونصيبين وسنجار،او على الحدود الشرقيّة للسهول ، بينما جاء آخرون الى المراكز الجديدة (خاصّة الكوفة والبصرة) . وبقي كثير من الدهاقين ، وبعضهم من اهل البلاد (نبطا او عربا)،واسلموا وحافظوا على اراضيهم (٣١) .

وكانت لفظة « نبط » ابتداءً ذاتَ دلالة بشرية (٣٢) ، ثم صارت بعدئذ مرتبطة بالفلاحة والريّ (٣٣) . وكان يشار للنبط عادة بـ « اهل السواد » او « العلوج » تمييزا لهم عن العجم (٣٤) . وتتباين الروايات عن وضعهم ، بين ما يشير الى الشعور بالرابطة والكيان (٣٥) وبين الايحاء بالأصل الفارسي (٣٦) .

اعتُبر المسلمون النبط غير محاربين، ولم يتمرّسوا لهم في القتال الفتح (٣٧) . يذكر المدائني ان عمر بن الخطاب « رفع الرقّ عنهم ، ووضع عليهم الخراج في رقابهم، وجعلهم اكرة الأرض » (٣٨) . وكان بامكانهم استغلال الأرض وبيعها وتوريثها ورهنها (٣٩) . واذا اسلموا أُعفُوا من الجزية عادة ، ولكنهم يستمرّون على دفع الخَراج . وراى عمر بن عبد العزيز ان لهم الحرية في ترك الأرض عند اسلامهم ، ولكن ارضهم تؤول الى القرية، والاّ صارت للدولة .

ومع ان النبط اعتُبروا احرارا من حيث المبدا ، الا ان المفاهيم المحلّية الموروثة التي تربطهم بالأرض والاعتبارات الاقتصادية أثّرت على وضعهم . وكانت الهجرة من الريف الى المدينة امرًا مألوفا ، بل وواسعة احيانا ؛ وهي ظاهرة ساعدت على التعريب . ومما يُؤثر التعريب أن النبط ساميّون يتكلّمون لغة لها قرابة بالعربية . ولعلّ هذا يفسّر سكوت المصادر عن انتشار التعريب بينهم (٤٠) .

هناك اشاراتٌ قليلة الى موال من النبط مع انهم ـ عدديا ـ يكوّنون جمهرة الموالي ؛ ولعل ذلك يعود الى ارتباطهم بالعرب في الأصول والثقافة . فالحَجّاج ، وقد أغضبه اشتراك مجموعة من القراء في ثورة ابن الأشعث ، قال عنهم « انما الموالي علوج ، وانما أُتِيَ بهم من القرى » ، ونفاهم الى قراهم (٤١) . وتَميّز بعض النبط في امور المال (٤٢)، مثل عميرة وحسان النبطي (٤٣) ، وفي الحرب، مثل مقاتل بن حيان . وكان لهم اثرهم خاصة على العربية في الكوفة (٤٤) .

ولقي العربُ في الفرات الاوسط (٤٥) وتَغْلِبُ في الجزيرة (٤٦) ، معاملةً مفردة ، مما يُشعِر بالتوجيه الاسلامي ، اذ كانوا احرارا في بيع اراضيهم ، وعند اسلامهم تصبح ارضهم عشرية .

كان اثر العرب في المدن والريف واسعا ؛ فقد اصبح التسجيل في الديوان محدودا زمن المروانيين ، ولم يعد مفتوحا للجميع ، وكان على الذين لا يسجلون في الديوان (وبالتالي لا يتلقون العطاء) أن يبحثوا عن وسائل اخرى للعيش ، في التجارة او الزراعة او

المهن . يذكر المبرد ان المهلّب دَسَّ الجواسيس الى عسكر الخوارج فاتوه باخبارهم « فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد . . . » (٤٧) . ويبدو ان هذه الظاهرة عامة لا تختصّ بالعراق ، ففي اخبار حملة ابن ابي بكرة على سجستان (٦٩٩/٧٩) قاتلت جماعة متطوّعة من مذحج وهمدان (٤٨) . كما ان بعض الاعراب القادمين الى المدن، مثل البصرة، صاروا في عداد « المساكين » على اطرافها (٤٩) . هذا الى ان بعض القاتلة بقوا في البوادي المطلّة على السواد يرعون مواشيهم وابلهم (٥٠). وتَرِدُ اخبارُ شعراء يتنقّلون بين قبائلهم في البوادي وبين عشائرها الموجودة في المراكز الحضرية، وخاصّة تميم (٥١) . وهذه الجماعات اختلطت بِحُرّيّةٍ باهالي البلاد السابقين .

والتفت العرب ، وخاصة الاشراف واهل المدن، الى امتلاك الأراضي، وحصلوا عليها بطرق مختلفة ــ بالاقطاع من الصوافي ، وباحياء الارض الموات (خاصة في منطقة البصرة) ، وبتجفيف المستنقعات (خاصة قرب الكوفة) ، وباستثمار الاراضي الخالية (٥٢) ، وبالشراء، وخاصة في منطقة الحيرة حيث كان بيع الاراضي مباحا (٥٣) . وكان جَعْلُ الضياع في البصرة من الارض الموات التي تم احياؤها بحفر القنوات وباستيراد الأيدي العاملة (من الزنج خاصة) . وشمل الشراء اراضي الخراج على نطاق واسع، حتى ان منع بيع الأرض الخراجية من قبل عمر بن عبد العزيز واخلافه لم يوقف هذا النشاط . وساعد الاحياء على توسيع الملكيات .

ادى هذا الاقبال على الأرض الى ظهور ملكيات كبيرة ، بعضها يشمل قرى بكاملها . وقد ادّت هذه التطورات الى خلخلة المجتمعات القرويّة المتماسكة والى فتحها للمؤثرات الخارجية .

واعتاد العرب ان يستخدموا « وكلاء » للإشراف على ضياعهم ، وكان على الوكلاء ان يجلبوا الفلاحين الى الارض، او ان يشغلوا فلاحين من القرى المجاورة . ومما يُيَسِّر مهمة الوكلاء ضرب الاقطاع القديم

وحالة الفراغ الناشئة عن ذلك،مما دفع الفلاحين للتحرك الى مواطن العمل الجديدة . وقد ادّى هذا الوضع ، اضافة الى الملابسات المتزايدة بين القرى والمراكز العربية ـ وهي الأسواق الرئيسية للريف ـ ؛ والصلات بين القرى والقبائل في البوادي المجاورة للكوفة والبصرة ، الى انتشار العربية تدريجيا وبصورة متزايدة في الأرياف (٥٤) .

وفي مطلع القرن الثاني للهجرة بدأ العرب بالاستقرار في القرى ، وساعدت السياسة العباسية على ذلك ؛ فقد اتخذ العباسيون موقفا سلبيًا من بعض القبائل (المضرية) منذ بداية عهدهم ، ثم انتهوا الى اسقاط العرب من الديوان ايام المأمون والمعتصم ، وهذا دفع العرب الى التوسع في الاستقرار على الأرض (في الريف) ، والى اتخاذ مِهَن اخرى . فانتشر العرب في سواد الكوفة (٥٥) ، وانتقل الكثيرون من البوادي المجاورة الى الأرياف (٥٦) ؛ وهكذا ترد اشارات الى قرى عربية (٥٧) . وفي الجزيرة الفراتية تزايد عدد العناصر العربية التي استقرت في القرى وانتشرت في الريف (٥٨) . ويشير ديونيس التلمحري البيّنات على وجود عدد كبير من القرى العربية في الجزيرة (٥٩) ، ويُشْعِر بوقوفهم الى جانب اهل القرى المعلّين في وجه الادارة العباسية (٦٠) ، ويشير الى حصول مصاهرات بين الطرفين (٦١) . وهذا يشير الى تغيُّر العلاقات بين العرب والآخرين ، والى توسّع التعريب ؛ وهو تطوّر بلغ مدى بعيدا في القرن الثالث الهجري،وجعل التعريب شاملا .

ويُنتَظر أن تكون العربية الدارجة في الريف فصيحة ، كما يُتوقّع ان لا تنجو عربية القرويين من اللحن (٦٢) ، وهذا لا يمنع ان تكون لغة البعض حسنة ؛ فقد اشار الجاحظ الى ان بعض اهالي سواد الكوفة يتكلّمون عربية حسنة بالفاظ متميزة،ومع ذلك يُحِسّ السامع بانهم نبط (٦٣) .

وكان انتشار الاسلام ، وحركة العرب ، وتنظيم الدولة عوامل في نجاح العربية وفي التعريب .

ترجع جذور الولاء الى الجزيرة العربية قبل الاسلام . وقد يكون اثر عرب الجنوب مُهِمًّا في تطوُّر الولاء ، ولكن تراثهم لا يزال ينتظر الدراسة . فهناك اشارات في النقوش الجنوبية الى أن قبائل (سبئية) كانت تربط مجموعات اضعف بها عن طريق الحلف بسبب المصلحة لا النسب . وقد تَطلَّب استغلال الأرض ربط جماعات خارجية بالقبيلة،وادّى الى نوع من الطبقية الاجتماعية،فهناك جماعات تستثمر الأرض (العائدة لقبيلة) لقاء جزء من الحاصل ، وهناك طبقة ادنى محميَّة تعمل لقبيلة في فلاحة الأرض (٦٤) .

أما بين عرب الشمال فان الولاء بالعتق او الحلف او الحماية كان مألوفا . وكان بامكان جماعات ان ترتبط بقبائل قوية بالحلف، ويُسمَّون موالي موالاة (٦٥) . والحلف لا يعني بالضرورة المساواة في المنزلة،مع انه قد يعني مساواة في بعض المسؤوليات (٦٦) .

هذه المفاهيم استمرت في صدر الاسلام ؛ ففي ديوان عمر بن الخطاب جُعِلَت القبيلة ومواليها في سجل (ديوان) واحد وبعطاء واحد (٦٧) ، وفي الكوفة والبصرة حالفت الكتائب الفارسية (حمراء ديلم والسلورة) ، اضافة الى الاندغان والسيابجة ، قبيلة تميم (٦٨) . وانتقل بنو العم من الاهواز الى البصرة وحالفوا بني تميم (٦٩) .

وكان الموالي ابتداءً من أُرقّاء (اسرى حرب) اعتقوا (موالي عتاقة) (٧٠) ، ولكنَّ جُلَّ الموالي كانوا من احرار اسلموا وانتقلوا الى المراكز العربية ، واكثرهم نبط (٧١) . وبعد ان اوقف عمر بن الخطاب سبي العرب (٧٢) ، صارت كلمة « مولى » تشير الى غير العرب ، بينما تشير كلمة « حليف » عادة الى العرب (٧٣) .

واستمر الولاء بهذه المفاهيم ايام الأمويين ؛ فقد صَنَّف عمر بن عبد العزيز الموالي الى : موالي عقد (اتفاق) وموالي رحم،وموالي عتاقة .

وكان ارتباط البعض بأمير أو قائد سببا لظهور « مولي التباعة » ؛ وهو اتجاه يفسر ما فعله العباسيون بعدئذ (٧٤) .

وكان الولاء يعني « الاسلام » « والعربية » في وقت واحد (٧٥) ؛ فالأعاجم (من غير المسلمين) كانوا يَرَون أنَّ مَن دخل الاسلام صار عربيا (٧٦) . وكان الموالي يتعلمون العربية ويتقنونها لغتهم ؛ ولهذا اعتبر الحَجّاج القراء من الموالي عربا (٧٧) . ويلاحظ ان بعض الموالي سُمُّوا بـ « المستعربة » (٧٨) ، وهو تعبير يطلق عادة على عرب الشمال ، جاء في اللسان « والعرب المستعربة هم الذين دخلوا فيها بعد فاستعربوا . قال الأزهري : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم، وحكوا هيئاتهم، وليسوا بسرحاء فيهم » (٧٩) . ويبدو ان المصاهرات ، وكانت مألوفة قبل فترة الحجاج وراتبة في الخلافة ايام عمر بن عبد العزيز (٨٠) ، ساعدت على توسيع التعريب ، ولهذا اخترق الولاء اطار النسب القبلي، ووسّع الاطار العربي، وساعد على انتشار العربية .

ظهر الاسلام في بيئة مدنية ، وأكّد على طلب العلم ، وعنه نشأت اتجاهات الدراسة الأولى في المجتمع الاسلامي . وهذه الدراسات ، مع اهتمامات العرب الثقافية الموروثة ، كوّنت الخطوط الأولية للثقافة العربية الاسلامية . واستمرّ الحال كذلك لدرجة ان النظر الى الثقافات القديمة كان عرضيًّا خلال فترة تتجاوز القرن ، وفي حين ان العربية اضطُرّت لمواجهة المفاهيم القبلية المتأصلة والضيقة، بما فيها من عصبيّة، قبل ان تستطيع تحقيق قاعدة ثقافية واسعة ، فان الاسلام كان قوة دافعة متوسعة ، وكان بشكل ما موازنا موحدا للعربية .

تركّزت الفعاليات الثقافية في صدر الاسلام في دور الهجرة — البصرة والكوفة خاصة — ، واقتصرت في الأساس على الموضوعات الاسلامية والدراسات العربية . كان هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥ هـ) يرى أن اسس الثقافة هي القرآن ، والآثار ، واحاديث العرب، واشعارها، وايامها ، وأنساب قريش وسائر بني نزار (٨١) .

وبدأت الفعاليات الثقافية بين العرب ، وبدرجة متواضعة ،

بين الموالي الذيـــن اتقنوا العربية (٨٢) . وتأثرت هـــذه الفعاليات بتيارين اساسيين : الأوّل ــ الاســـلامي ، ممثلا في الدراسات القـــرآنية والحديث والفقـــه والمغازي ، والثاني ــ العربـــي (القبليّ) وهو استمرار لميـــول سابقة ، في الشعر والايـــام والاخبار والانســـاب واللغة .

ويسترعي الانتباه ان التطورات الثقافية ســـارت في خطوط متوازية ومتدرجة : روايـــات فردية ومحدودة ابتداءً ، ثـــم حلقات من الطلبة يأخذون عن شيـــخ ويضيفون ابحاثهم الى علمه (٨٣) ، ثـــم تراكُم للمعرفة والدراسات يؤدي الـــى ظهور مدارس محلّيّـــة ، واخيرا تبادُل المعرفة والتأثير بين المراكـــز او المدارس المحلّية عن طريـــق الرحلات، مما ادى الى ظهور علمـــاء متميزين رسموا خطوط التطور المقبـــل . ويتضح هذا التطور في دراســـة الحديث والفقه والتاريخ وفي الدراسات اللغوية .

واجهت الأمـــة الاسلامية الناشئة مشـــاكل وحاجات مباشرة ــ منها انشاء الخلافـــة ومشاكلها ، ومعاملة المغلوبين والاراضي المفتوحة ، وتطبيق المبادىء الاسلاميـــة في الامصار لمواجهة الحاجات الجديـــدة . وكانت هـــذه النواحي بالغةَ الاهميّـــة للتطور الثقافي .

لقد شهد القرن الاول للهجرة رسمَ الخطوط الاساسية لمؤسسة الخلافة، مع ما رافقها من تباين واختلاف في الاتجـــاه ؛ ونشأت الاحزاب السياسية وطوّرت آراءهـــا التي كان لها بعض الاثـــر في الفقه (٨٤) . وظهرت آراء في الجبر والاختيار ومســـؤولية البشر عن اعمالهم ، وبـــدأ التنظيم الاداري والمـــالي من التراث المحلّي بعد تعديله بضـــوء مفاهيم اسلامية ، وكان يختلف في واقعـــه بين قُطر وآخر ، ثـــم عُرّب وطُوّر بالتدريج لينتهي الى إطار موحّد فـــي بلاد الخلافة في أواخـــر الفترة الاموية .

وفي حين ان الفعاليـــات الثقافية بدأت عربية اســـلامية ولم تأخذ من الثقافات القديمـــة الا في فترة تالية ، فـــان الموقف من التراث الاداري والمـــالي المحلّي المتباين في الاقطار اتخـــذ اتجاها معاكسا ، اذ عُـــرّب وطُوّر لينسجم مع المفاهيـــم الاسلامية بصورة تدريجية، حتـــى ادخل اخيرا في النطاق الاســـلامي الثقافي والحضاري .

ارتبطت الفعاليات الثقافية بالحاجات الناشئة ؛ فالدراسات الاسلامية الاولى تتصل بالقرآن ، اذ حاول القراء ان يعلّموا الناس القراءة الصحيحة،وان يبصّروهم بالمفاهيم الاسلامية (٨٥) . بعث عمر بن الخطاب بعض الصحابة الى الأمصار (مثل ابن مسعود في الكوفة وأبي موسى الاشعري في البصرة) ليعلّموا الناس القرآن والسنة (٨٦) . قال اهل الكوفة لابن مسعود : « جُزِيتَ خيرا فقد علّمتَ باطلنا وبيّنتَ عالمنا،وأقرأتنا القرآن،وفقّهتنا في الدين » (٨٧) . ويُروَى الكثير من عدد تلاميذ ابن مسعود وعن نشاطهم في الكوفة ، اذ كانوا « يُخرج هذه الشرطة (الكوفة) » كما قال سعيد بن جبير (٨٨) . وقد نالوا منزلة اجتماعية عالية بسبب تقواهم وحرصهم على رسالتهم (٨٩) . وشاركوا في الحياة العامة وفي الاحداث الكبرى من أيام عثمان الى ثورة ابن الاشعث (٩٠). وكانوا يدافعون عن المبادىء الاسلامية،وعن العدالة الاجتماعية . وانضمّ اليهم بعض الاشراف ، وتزايد عدد الموالي بينهم (٩١) ، ولعلّ هذا يوضح سبب الارتباك في بداية ظهورهم . وتُشير فعاليتهم بالصلة الوثيقة بين النشاط الثقافي وبين الحياة العامة .

وشهد جيل التابعين بين القراء قضاة ، واصحاب فتيا (٩٢) ، وعلماء (٩٣) ، وفقهاء (٩٤) . يقول ابن سعد،« ثم كان التابعون بعد أصحاب رسول الله من ابناء المهاجرين ؛ والانصار وغيرهم فيهم فقهاء وعلماء،وعندهم رواية الحديث والآثار والفقه والفتوى » (٩٥) . وشملت دراساتهم الحديث والنحو والتفسير والفقه (٩٦) .

وكان دور القراء والعلماء والقضاة مُهمًّا لتطوّر الفقه وبجنب الاعتماد على القرآن رجعوا الى السنة ؛ ويشير الى سنّة الرسول في فترة مبكرة . ثم ان المشاكل الجديدة في الامصار ادت الى الاجتهاد بالرأي منذ زمن الراشدين (٩٧)،وواضح ان قيام الخلافة ومعاملة البلاد المغلوبة تطلّبت الاجتهاد والرأي . وبالاضافة الى ذلك كان هناك الاتجاه الى اعتماد المفاهيم والقيم الاسلامية في مختلف نواحي الحياة،والى تطويع العرف المحلي ليلائم الاسلام .

وقد لجأ الصحابة الى الاجتهاد بصورة فردية او بالشورى ، وصارت اقوالهم جزءا من الآثار ، كما كان للتابعين رايهم واجتهادهم . وادى الوضع في الحديث الى تحديد استعماله من قِبَل البعض ، بينما لجأ آخرون — مع التشدّد في النقد — الى الآثار . وكان الراي يعطى بالقياس او وفق متطلبات المصلحة . ونشأ خَطّان في الفقه : فقه الراي وفقه الاثر ، وذلك بضوء التوسُّع في استعمال الراي او تقييده . ولم يكن التقسيم يستند الى قاعدة جغرافية (الكوفة — المدينة) بل الى الوجهة الخاصة بالفقيه (٩٨) .

وأدّى التباينُ في الظروف المحلية ومدى الاخذ بالراي او الاستناد الى الحديث والآثار الى ان تظهر بصورة تدريجية سنن محلية او طرق « عمل » . وتطورت هذه البدايات المحلية بعد فترة ليخلفها الاجماع بمفهومه العامّ وليكون اصلا آخر من اصول الفقه .

وقد ادت الجهود الجماعية والمتكاملة للعلماء الى قيام مدارس فقهية في العقود الاولى من القرن الثاني للهجرة . ويسترعي الانتباه انه لا توجد خلافات اساسية بين هذه المدارس في المبادىء او الطريقة . وعلى العموم فان الرجوع للراي كان اوسع في العراق ، بينما كان التأكيد على الحديث اقوى في المدينة . وتَمَيَّز بعض العلماء بدراساتهم الواسعة وبعلمهم في المدارس (المراكز العلمية) مثل ابراهيم النخعي (٧١٥/٩٦) وحماد بن ابي سليمان (٧٣٨/١٢٠) في الكوفة ؛ والزهري (٧٤١/١٢٤) وربيعة الراي (٧٥٣/١٣٦) في المدينة ، وكان دورهم بداية التطور الذي ادى الى ظهور ائمة المذاهب (ابو حنيفة ، مالك ، الشافعي ، احمد بن حنبل) . وهذا التطور من الدراسات المشتركة المتكاملة (في المدارس) الى قيام ائمة (في الفقه) — وهو اتجاه يظهر ايضا في حقول ثقافية اخرى — يُشْعِر بنضج المدارس الفقهية ، مما ادى الى ظهور المذاهب بطلوع القرن الثالث للهجرة (٩٩) .

وبدأت دراسة حديث الرسول (ص) في فترة مبكرة بين الصحابة ،

ثم شملت الدراسة آثار وسنن الصحابة . وكانت التطورات والحاجات الجديدة سببا لذلك ، كما ادت هذه الى الوضع في الحديث ، فالمصالح السياسية والحزبية والمحلية والمذهبية وجدت مجالا في وضع الاحاديث ، وادى الوضع بدوره الى التدقيق في نقد الحديث ؛ وهو تدقيق بدأ في المتن،وتركّز تدريجيا وبمرور الزمن على الاسناد ، وجاء علم الجرح والتعديل مثلا رائعا للتدقيق والحيطة والتوثيق .

وكان الاهتمام بجمع الحديث مبكّرا زمن الصحابة والتابعين في صحف وأجزاء،وتلا ذلك « تقييد » الاحاديث في الصحف والروايات في أواخر القرن الاول وأوائل القرن الثاني للهجرة ، ثم بدأ « التصنيف » أو جَمعُ الاحاديث حسب الموضوعات لفائدة المشتغلين بالفقه وذلك في الربع الثاني للقرن الثاني للهجرة . وادّى حرص المحدثين على احاديث الرسول (ص) الى عمل مجموعات للحديث مرتّبة حسب رواتها من الصحابة من أواخر القرن الثاني للهجرة،ورافق ذلك تأكيدٌ خاصّ على الاسانيد . ومما يلاحَظ انّ كُتُب الطبقات الأُولى جاءت من نفس الفترة . وأخيرا ، وخلال القرن الثالث للهجرة،وُضِعت المجاميع الاكثر شمولا وتدقيقا ، وهي كتب الصحاح ، ونُظّمت على فصول الفقه (١٠٠) .

واُستُخدِمَت الكتابة لحفظ الحديث جنبَ الرواية الشفوية ؛ وقد عرف الزهري بكتابة الحديث (١٠١) . وجاءت المجموعات الاولى للحديث من الثلث الثاني للقرن الثاني للهجرة ؛ وهي نفس الفترة التي جاءت منها المؤلفات الاولى في التاريخ (١٠٢) .

بدأ التفسير مبكرا في قراءة القرآن وكان على صلة وثيقة بعلم الحديث . وكانت المحاولات الاولى في الاساس شروحا لغوية للنصوص، واشارات الى ظروف نزول الآيات . وقد افيد من الشعر (الجاهلي) لتوضيح بعض الكلمات ، كما استند التفسير الى المأثور من حديث الرسول (ص) واقوال الصحابة (١٠٣) .

وتطوّر التفسير بسرعة في عصر التابعين ، وأخذ بعضهم بالراي اضافة الى الآثار والشروح اللغوية ، ورجع البعض الى اهل الكتاب لتوضيح بعض الاشارات القرآنية ، فتسربت الاسرائيليات، واثارت شيئا من الشكّ والتحفّظ (١٠٤) . وهكذا بدت بوادر اتجاهين في التفسير : التأكيد على المأثور ، والرجوع الى الراي .

وقد أهتمّ بالدراسات القرآنية جماعاتٌ لهم اتجاهات دراسية مختلفة ، اذ نرى القراء واللغويين والمحدّثين يشتغلون بالتفسير . وقد اسهم بعض القراء، مثل نصر بن عاصم (٨٩ هـ/٧٠٧ م.) ويحيى بن يعمر (١٢٩ /٧٤٦) وبعضُ اللغويين، مثل عيسى بن عمر الثقفي (١٤٦/٧٧٦) وابي عمرو بن العلاء (١٥٢/٧٧٠) في التفسير .

واستُعملت الكتابة في التفسير زمن التابعين ، ووُضِعَت تفاسير من أواخر القرن الاول (مجاهد ١٠٤/٧٢٢ ، قتادة ١١٨/٧٣٦ ، عطاء الخراساني ١٣٣/٧٥١) .

واسمت التفاسير من أواخر القرن الثاني بصورة عامّة بطابع الجمع ، واحتوت على موادّ تاريخية وفقهية ولغوية . كما وُضِعَت في هذا القرن تفاسير لغوية لها اهمية خاصة، مثل مجاز القرآن لابي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠/٨٢٥) ومعاني القرآن للفراء (٢٠٧/٨٢٢) .

ولجأ المعتزلة الى الراي في التفسير (منذ القرن الثاني) مستفيدين من المواد اللغوية . ووضع المحدّثون — الذين تحوي مجموعاتهم في الحديث عادة على قسم في التفسير — تفاسير منذ النصف الاول من القرن الثالث الهجري، معتمدين على الآثار بالدرجة الاولى .

وهكذا ظهر خطّان واضحان في التفسير : التفسير بالآثار ، وهذا بلغ قمته في تفسير الطبري (٣١٠/٩٢٣) ، والتفسير بالراي، الذي بلغ درجة عالية في الكشاف للزمخشري (٥٣٨/١١٤٣) (١٠٥) .

ـ ازدهر الشعـر خلال القرن الاول الهجري ، وتأثـر بالاوضاع السياسية والاجتماعية الجديـدة في المراكز الجديدة ، كمـا تأثر بالمفاهيم والقيم الاسلامية . ومـع أن الكثير من الشعر ينطوي علـى استمرار للشعر القديم في الاسلـوب والاخيلة ، فان موضوعات جديـدة ظهرت بالاضافة الـى النظرات والمنطلقات الجديدة (مثل الشعـر الاسلامي ، شعر النقائض ، الشعـر السياسي ، شعر الغزل) ؛ هـذا الى وجود الشعر الحضري جنـب شعر البادية ؛ كما ان تطـورات جديدة حصلت في الاسلوب . وجـاءت حركة التجديد الشعريـة في العصر العباسي الاول بشعر اكثر رقـة واعلى ثقافة ، واكـدت على موضوعات جديدة . ومع هـذا بقي للشعر القديم منزلة رفيعـة في عالم النظم (١٠٦) .

خرج العـرب من الجزيرة بِلُغَـةٍ راقية وشعر رائع وتراث حضري جنوبي . وكانت للقبائـل لهجاتها (لغاتها) ولكـنَّ سكناها مجتمعةً في المراكز الجديدة ادت الـى ظهور عربية مشتركة فـي التخاطب . يقول الجاحظ : « واهـل الامصار انما يتكلمون على لغـة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجـد الاختلاف في الفاظ من الفاظ اهـل الكوفة والبصرة والشام ومصر » (١٠٧) . ولكنَّ القـرآن الكريم اعطى المثـال للعربية في الكتابة ، واعطاها وحـدةً واستمرارًا عبـر العصور .

وبدأت الدراسات اللغويـة في فترة مبكّرة ، وهي تُشعِـر بالحرص على قراءة القـرآن بصورةٍ صحيحة،والحماس لنقاء اللغة العربيـة . لقـد اُستُعمِلَت العربيةَ اعدادٌ متزايدة من الموالـي،وتعرَّضت لِلَّحـن . واختلط العـرب بالاعاجم في الامصـار ، كما فُتحت بيوتهم للسبايا ، مما اثَّر في لغـة الكثيرين (١٠٨) . ويَتَّخذ اللحـن صورة واضحة في قراءة المصحـف ؛ وهي مشكلة تعرَّض لهـا حتّى البعض من الاعراب . جـاء في رسالة لعثمان تخوِّفه مـن الابتداع « بعد اجتماع ثلاث فيكم ؛ تكامُل النعمـة،وبلوغ اولادكم من السبايـا،وقراءة الأعراب والاعاجـم القـرآن » (١٠٩) .

بدأ اللحن في اواسط القرن الاول للهجرة وانتشر في فترة التابعين ، وادى الى رَدِّ فِعْلٍ قويّ في الدوائر العربية وبين بعض الموالي المتعربين، لحماية العربية وللحفاظ على صفائها . يُبيِّن الزبيدي ان ظهور الاسلام ودخول الناس فيه وكثرة من وُجد تحت لوائه ادّى الى ان « اجتمعت فيه الالسنة المتفرقة واللغات المختلفة،ففشا الفساد في العربية . فَمَنَعَ الاشفاق من فُشُوِّ ذلك وغَلَبَتِه ، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم الى ان سَبَّبوا الاسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه،وتثقيفها لمن زاغت عنه » (١١٠) . كل ذلك أوجد دافعا قويا للدراسات العربية (١١١) .

وترتبط بدايات النحو اولاً بقراءة القرآن ؛ فقد أُحدِثَت نُقَط لتمييز حركات الاعجام في القرآن مِن قِبَل ابي الاسود الدؤلي (٦٩هـ/ ٦٨٨ م.) ، ولذا يُنْسَب اليه وضع النحو . ويعود الى الفترة ذاتها وَضْعُ النقاط لتمييز الحروف المتماثلة،لضمان القراءة السليمة (١١٢) .

وكان رُوّاد علم النحو،من يحيى بن يعمر (١٢٩/٧٤٧) وعبد الله بن ابي اسحق الحضرمي (١١٧/٧٣٥) الى الكسائي (١٨٩/٨٠٥) مُقْرّاء (١١٣) ؛ فَفَهْمُ القرآن يَعني معرفة جيدة بلغته وبإعراب نصوصه . يقول الذهبي عن الكسائي : « وكان من اهل القراءة،وهي كانت علمه وصناعته » (١١٤) .

ونظر البعض الى اللغة على انها في الاساس تواضُعٌ واصطلاح ، بينما ذهب البعض الآخر الى انها توقيف ؛ وهما وجهتان متدرجتان، تعبّران عن نظرتين في النحو ؛ فقد كان السماع من اسس الدراسات اللغوية ، كما أُعتُبِر القياس مع التعليل قاعدةً اخرى في النحو . وكان لكلٍ من الاتجاهين مؤيدون في البصرة (١١٥) . ثم ساد القياس في البصرة (مهد النحو) والسماع في الكوفة . ويبدو ان بيئة الكوفة العربيةالسامية في الاساس اقرب الى الاتجاه الى السماع والسليقة ، أما بيئة البصرة التجارية المختلطة فانها تطلّبت قواعد اكثر تحديدا لفهم اللغة . اكدت البصرة على القياس لوضع قواعد

عامة،امـــا الشواذ فانها سُجِّلت وأُهمِلت ؛ وامـــا الكوفة فانها رأت في أن يُسارَ وفـــق السماع،وتجوَّزت في وضع القواعد الى حـــدّ الاستناد الى النوادر عنـــد الحاجة (١١٦) . وقد ورثت بغـــداد المدرستين ، واكثرها كانت أميل الى الاتجاه الكوفي . وأخيرا تفوَّق الاتجاه الى السماع على وجه القياس،وانتصرت بذلـــك المحافَظَة . وهذا يثير الســـؤال عن مدى تأثير القراءات المقبولـــة في تفوُّق السماع (١١٧) .

وسارت الدراســـات اللغوية الى جنب دراسة النحـــو ؛ فالحاجة الى فهم القـــرآن ، والحديث أحيانا ، دعت الـــى الرجوع للشعر والى عربية البادية . ذهـــب اللغويون الى البادية،الى الاعراب الفصحاء، (وجاء بعض هـــؤلاء الاعراب الى المـــدن) للأخذ عنهم (١١٨) . وكانوا ـــ وخاصة البصريون ـــ حذرين في بحثهـــم عن العربية السامية ، ولـــذا تجنَّبوا في الغالب القبائـــل التي تأثرت بأهل الحواضر القريبـــة . ومع أن تأكيد الروايات علـــى الأخذ من الاعراب البادين لا يخلـــو من مبالغة ، فان هذا الأخـــذ في عامَّته ادى الى تسجيل مـــا يتّصل اساسا بالحياة البدويـــــة .

كان أبـــو عمرو بن العلاء (٧٧٠/١٥٤) شيخ الدراســـات اللغوية في عصره ، يُعرَف بانـــه اعلم الناس بالعرب وبلغتهـــم،وبالشعر والايام، وبالقـــرآن . وكانت « عامة اخباره عـــن أعراب قد ادركوا الجاهلية » . وكان اثره كبيرا في إعداد طلبة نابهين من الجيل التالي (١١٩) . وقامت ابحاثه واسعة ومركزة على يـــد الجيل التالي في البصرة ، وتَتَمَيَّز بينهم ثلاثـــة من تلاميذ ابـــي عمرو بن العلاء : ابو عبيدة معمر بن المثنـــى (٨٢٦/٢١١) وأبو زيـــد الانصاري (٨٣٠/٢١٥) والاصمعـــي (٨٣١/٢١٧) ، وهؤلاء افادوا في بحوثهـــم من اساتذة آخرين ومـــن ثقات الأعراب ، حتى قيل فيهم : « عنهم أُخِـــذ ما في أيدي الناس من هـــذا العلم،بل كلُّه » (١٢٠) . وكان اعلام المدرســـة اللغوية في الكوفة الكسائي (٨٠٥/١٨٩) والفـــراء (٨٢٢/٢٠٧) والمفضل الضبي (٧٨٦/١٧٠) وابن الاعرابي (٨٤٤/٢٣١). وهكذا نضج هذا الاتجاه في الدراسات في أوائل القرن الثالث للهجرة (١٢١) .

وكانت المجموعات الاولى للكلمات عفوية دون خطّة . ثم تلتها مجموعات تدور حول موضوع او مادة . واخيرا جاء الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥/٧٩١) بفكرة اول مُعجم (العين) ، وتحقّقت فكرته على يد تلميذ له،وربما بمشاركة آخرين . وسار علماء اللغة بعده على خطته،الى ان وضع الجوهري (٣٠٨/١٠٠٧) خطة اخرى (١٢٢) .

جاءت القبائل بلهجاتها (لغاتها) الى المراكز الجديدة (١٢٣) ؛ وهذا اكسب العربية حيوية وغنى . ثم ان استعمال العربية على نطاق واسع بين غير العرب ، والاختلاط في البيئات الجديدة،وتطوُّر الحياة في المدن،ترك آثاره وأدّى بالتدريج وبين الطبقات الدنيا الى ظهور عربية للتخاطب تتّصف بالبساطة،ولا تلتزم بقواعد النحو (١٢٤) ؛ وبدا ذلك بوضوح في اواخر القرن الأول . ومع ذلك فان الحَجّاج كان يرى ان دُور الهجرة (الكوفة ، البصرة) هي « موضع الفصاحة والاعراب » . واثنى بحفل على اهل واسط لفصاحتهم ، وعَلَّلَ ذلك بأن الحجاج « كان لا يدع احدا من اهل السواد يسكن واسطا » (١٢٥) .

وفي القرن الثالث الهجري ، والعربيّة لغة الثقافة ، كانت الفصاحة ما تزال تُقْرَن بعربية الاعراب الأقحاح . وبجنب هذه اللغة يشير الجاحظ الى لغة المولدين والبلديين بتركيبها واعرابها (١٢٦) . وعلى كلٍّ،فبالاضافة الى لغة التخاطب اليومية ، التي لا تخلو من لون محلي ، صارت العربية لغة الحضارة،وفيها المرونة التي تتطلّبها الحاجات الثقافية والحضرية . ومع ذلك استمرّت الجهود للحفاظ على صفاء اللغة،وعلى جعل النحو اداة فعالة تُمكّنُ الجميعَ من اتقانها عن طريق التعلم (١٢٧) .

وبدأت دراسة التاريخ وكتابته في خَطّين ــ اسلامي وقَبلي : ففي المدينة اتجهت الدراسات التاريخية الى المغازي والجماعة الاسلامية الاولى،ثم شملت تاريخ الأمة . وفي الكوفة (ثم البصرة) اتجهت الدراسات الى نشاط الخلافة،والى فعاليات القبائل وشؤون الامصار .

وكان المحدّثون روّاد المغـــازي، في حين نهض الأخباريون بالدراســـات التاريخية في الكوفـــة ، وشارك فيها لِحَـــدٍّ ما بعض النسّابين واللغويين .

تناول الأخباريّون فـــي دراساتهم كلَّ جوانب التاريخ الاســـلامي في كتب يتعلق كـــلٌّ منها بموضوع أو بفترة . وبينمـــا يلاحظ اسلوب المحدّثين في التدقيـــق والاسناد في كتابة المغـــازي، فان الاخباريين يشعرون باستمرار نواحي الاهتمـــام القبلية، وباثر اسلـــوب قصص الايام . وكان عروة بـــن الزبير (٧١٢/٩٤) رائـــد مدرسة المغازي، واستقرّ هيكل السيرة على يـــد تلميذه الزهري (٧٤٢/١٢٤) بينما كَتَـــب الاخباريون في الجيـــل التالي لـــه .

وهكذا نشأت الدراســـات التاريخية في الاســـلام، وتطورت في ظلال الثقافة العربية الاســـلامية . اما الترجمات لِسِيَرِ الملوك مـــن الفهلوية ، والأخذ مـــن الاسرائيليات، فانها أدخَلَت مـــادة ضعيفة الى الدراسات التاريخية، ولكنها لـــم تأت بفكرة او بمنهـــج .

وشهد القرن الثالـــث الهجري تبادل التأثير بـــين مدرستي التاريخ في المدينـــة والكوفة، في الاسلوب والافـــق والمفاهيم التاريخية ، وبلغ ذلك ظهور المؤرخـــين الكبار بعد منتصف هذا القرن ، وهـــم يمثّلون قمـــة التطور في الدراسات التاريخية فـــي فترة التكوين (١٢٨) .

وكانت الصلات بالثقافـــات الاخرى شفوية ومحدودة : فهنـــاك الاسرائيليات ، وبعض اللاهوت المسيحي ، وبعض الاقـــوال التلمودية التي تسرَّبت عـــن طريق الداخلين في الاســـلام ، اضافة الى قليل من الهلنية . واثيرت اسئلـــة عن حرية الراي، والصفات الالهية، وخَلْق القـــرآن . ولا يخفـــى ان مسالة حريـــة الارادة والاختيار ـــ كما في كثير من القضايـــا الاساسية ـــ بدأت كمشكلة سياسية فـــي العصر الاموي ، ولكن الاتصال قـــد يترك بعض الاثر . ويلاحَـــظ تَسَلُّل بعض الآراء الدينية الفارسية في بيئـــة الكوفة عن طريق بعض المسلمين الجدد ، وهذا يلحظ عنـــد الغلاة . ولكن هذه الصلات كانـــت اولية، ولا يوجد ما يدل على اقتباس متعمَّـــد الا في الحاجات المـــادية .

وأدّى تعريب الدواوين زمن الأمويين (من ايام عبد الملك بن مروان الى ايام هشام بن عبد الملك) الى إغناء العربية ، وساعَدَ على أن تصبح لغة الثقافة للمسلمين وغيرهم . وقد فتح التعريب الباب للشعوب الاخرى في المجتمع الاسلامي للمساهمة في الثقافة وتأكد ذلك بعد الثورة العباسية .

وكان للتراث المحلّي ، الاداري والمالي خاصة ، اثره ؛ وكان للمسلمين أن يأخذوا ما يرون ما دام لا يتعارض والمفاهيم الاسلامية . وقد أدخل المسلمون عليه ابتداءً تعديلاتٍ بضوء المبادىء الاسلامية ، ثم طَوّروه وعرّبوه،واخيرا تمثّلوه في مجرى الحضارة العربية الاسلامية .

وان وُجِدَت اشارات الى بدايات أولية وفردية للترجمة زمن الامويين ، فان العباسيين نَظّموا الترجمة وشجّعوها في العلوم والطب والفلك،واخيرا — من اواخر القرن الثاني — في الفلسفة . وهذه الترجمات لم تُدخِل عنصرا غريبا غير مؤتلف في الثقافة،عدا الفلسفة التي تضمّنت احيانا آراء ومفاهيم لا تنسجم والمبادىء الاسلامية . وحاول العلماء المسلمون أن يفيدوا من المنطق اليوناني،وان يوفقوا بين الفلسفة والاسلام في الشكل والمضمون .

وهناك خَطٌّ آخر للترجمة — عن الفهلوية بالدرجة الاولى — تَبنّاه الكُتّاب وبعضُ رجال الأدب ، وشمل مؤلفاتٍ أدبيةً وتاريخيةً ودينية . وكان لهذه الترجمات بعض الاثر في الآراء وفي بعض الحركات الدينية السياسية الخارجة ، وكانت تتّصل بالصراع الثقافي مع الشعوبية . وربما كان للاحتكاك والصراع الثقافي اثرٌ في تجديد الاهتمام بالتراث الادبي العربي،وفي تأكيد جديد على العربية وصلتها بالاسلام،وفي تجديد التأكيد على العربية اساسا للعروبة .

وفي هذه الفترة لم تَعُد الرسالةُ الدينية التي حملها العرب ابتداءً قاصرةً عليهم،بل شاركهم فيها المسلمون مختلف الشعوب ، وأصبحت رسالة العرب ثقافية حضارية .

(١) انظـر :

N. Pollak - L'Arabisation de L'Orient Sémitique, R. E. I. 1938, pp. 35-63
W. Marçais - Comment L'Afrique du nord a été Arabisee, Articles e Conférences (Paris 1961) pp. 171 - 192 ;

R. Blachere - Regards sur L'acculturation des Arabo - Musulmanes, Arabica, III, pp. 247 - 65.

(٢) الشيباني ـــ السير ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ص ٦٤ ـــ ٦٥ .

(٣) الطبري ـــ تاريـــخ ، س ١ ، ص ٢٨٦٠ . البلاذري ـــ انساب الاشراف ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١١٤ . قـــال الاحنف بن قيس اثناء الفتنـــة في البصرة سنة (٦٤هـ) رداً على اقتراح الغضبان القبعثري بـــأن تترك تميم البصرة « انما خرجنا من الامر الذي لا ندع مهاجرنا ومركزنا وفيء اللـــه علينا فنتعرب بعـــد الهجرة » . وجاء في لســـان العرب : « وكان من يرجع بعـــد الهجرة الى موضعه ، معن غير عذر ، يعدونه كالمرتـــد » ، مـــادة « عـــرب » .

(٤) المبـــرد ـــ الكامل (باعتناء ابي الفضل ابراهيم وشحاتـــه ، القاهرة ١٩٥٦) ج ١ ، ص ١٤١ .

(٥) يقول ابن ســـعـــد عن الزبرقان بن بدر ، الـــذي ثبت على الاســـلام خلال الردة : « وكان ينزل أرض بنـــي تميم ببادية البصرة ، وكان ينزل البصرة كثيرا » . ويقـــول عن الاقرع ابـــن حابس « وكان ينزل أرض بنـــي تميم ببادية البصرة » . الطبقات ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٢٤ .

(٦) في ابن ســـعـــد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٣٩ : « ســـمعت أبـــي يقول : اتاني رســـول اللـــه ، أو ســـمعت رســـول اللـــه (ص) ينهى عن التنادة ، فمـــن اقام ببلاد الخراج فقد تنـــا ، فانا اكره ان اقيـــم » .

وجاء في اللســـان : « من تنا في ارض العجم فعمل نيروزهم ومهرجانهم فطر معهـــم » ، مادة « تنا » . وانظـــر : حلية الاولياء .

(٧) البلاذري ـــ انســـاب ، (خـــط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ ، ص ١٢٢٥ .

(٨) انظر : رســـائـــل الجاحظ (تحقيق عبـــد الســـلام هارون) ، ج ١ ، ص ١٠ ـــ ١١ .

(٩) الطبري ، س ٢ ، ص ١٥٠٥ ـــ ٦ .

(١٠) البلاذري ـــ انساب (خـــط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ .

(١١) في طور عابدين وآمـــد ورأس العين وســـنجار والرهـــا .

(١٢) انظـــر : Dillemann - Haute Mesopotamie Orientale (Paris 1962) PP. 34 - 5, 88 - 9 .

الطبري ، س ١ ، ص ٨٢٧ ؛ الاغاني ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ـــ ١ .

البكري ـــ معجـــم ما استعجم (باعتناء الســـقـــا ، القاهرة ١٩٥٤) ج ١ ، ص ٢٢ .

(١٣) الطبري ، س ١ ، ص ٢٤٨٩ ، ص ٢٥٠٥ . البكري ـــ معجم ، ج ١ ، ص ٢٢ ـــ ٤ . ابـــن أعثم ـــ الفتوح ، ج ١ ، ص ٨٨ ـــ ٨٩ ،

Musil - Middle Euphrates (New york 1927), p. 285

(١٤) البلاذري ـ فتوح ، ص ٢٤٨ ، وانظـر : ص ٢٤٩ .

(١٥) الهمداني ـ صفة جزيرة العـرب (باعتناء الاكوع ، دار اليمامـة) ، ص ٧٠ ، ص ٢٧٥ ، ص ٣١٩ . البكري ـ معجـم ، ج ١ ، ص ٢٣ ـ٢٤ . البلاذري ـ فتوح ، ص ١٨٢ ، Musil, op. cit., p. 312.

(١٦) البلاذري ـ فتوح ، ص ١٧٧ .

(١٧) البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٦٩ ـ ٧١ ، E. I.(1) Bakr b. Wail

(١٨) الطبري ، س ١ ، ص ٨٢١ ـ ٨٢٢ ، ص ٢٤٩ . وانظـر : س ١ ، ص ٧٢٤ ، ص ٧٤٧ عـن قدم العرب في العراق ، البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٥٢ ـ ٥٣ . هذا اضافة الـى جماعة من بكر بن وائل ، المبـرد ـ الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(١٩) الهمداني ، ص ١٤٩ .

(٢٠) البكري ـ معجم ، ج ١ ، ص ٨٥ ـ ٨٦ . ابن اعثم الكوفي ـ فتوح ، ج ١ ، ص ٨٨ ـ ٨٩ . ويذكـر الهمداني انها تمتد من الابلة الـى هيت ، ص ١٦٩ . وكان امارة مسمين (ميسـان) عند مصب دجلة يحكمها عرب وافدون مـن عمان وذلك قبل قيـام الحيرة . كرستنسن ـ ايران زمـن الساسانيين ، ص ٧٥ . وانظـر : Musil, op. cit., p. 285. E. I (1) Bakr Ibn Wail

(٢١) الجاحظ ـ البيان والتبيين (باعتناء ، عبـد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٠ ـ ١) ، ج ٢ ، ص ١٣٠ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٤٨٨ ، انسـاب ، ج ٤ ق ١ ، ص ١٩٠ ، ص ٢٠٢ . الطبري ، س ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٢٢) الطبري ، س ٢ ، ص ٤٣٤ . البلاذري ـ انسـاب ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ١١٦ .

(٢٣) الطبري ، س ١ ، ص ٢٨٠٤ .

(٢٤) ن. م. ، س ١ ، ص ٢٨٠٥ . البلاذري ـ فتوح ، ص ٣٥٠ . ياقوت ـ معجـم البلـدان ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .

(٢٥) البلاذري ـ فتوح ، ص ٣٣٤ . الازدي ـ تاريـخ الموصل (باعتناء علـي حبيبة ، القاهرة ١٩٧٦) ج ٢ ، ص ١٨٣ ، ص ٣١٢ ـ ٣١٥ ، ص ٣٣٢ ، ص ٣٥٠ . ياقوت ـ بلـدان ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .

(٢٦) البلاذري ـ فتوح ، ص ١٧٧ .

(٢٧) ن. م. ص ١٧٨ . ياقوت ـ بلـدان ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .

(٢٨) الهمداني ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ . الازدي ـ تاريـخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، ص ٣١٤ـ ٣١٥ .

(٢٩) الطبري ، س ٢ ، ص ١٨٧٤ .

(٣٠) يشير البلاذري مثلا الـى مسالح او حاميات في الابلـة والخريبة والمذيب وعسكر الفـرس وعلى اطراف الفـرات الاوسط ، فتوح ، ص ٢٤٢ ـ ٣ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٥٤ ـ ٥ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٧٦ ـ ٧ ، ص ٣٤١ . وانظـر : ابن سعد ،

ج ٧ ، ق ١ ، ص ٧٧ ، ص ١٢١ . أبو يوسف — الخراج (بولاق ١٣٠١) ، ص ٨٣ — ٤ . المسعودي — مروج ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ — ١ .

(٣١) الصولي — ادب الكتّاب ، ص ٧٥ . البلاذري — فتوح ، ص ٢٦٥ . يحيى بن آدم — الخراج ، ص ٤ . أبو يوسف — الخراج ، ص ٨٥ .

(٣٢) المسعودي — التنبيه والاشراف ، ص ٣٨ . ابو يوسف — الخراج ، ص ٢٢ .

(٣٣) تاج العروس ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ — ١ (نبط) ، ويسمون ايضا الكلدانية . ياقوت — بلدان ، ج١ ، ص ٢٤٧ — ٨ ، ج ٢ ، ص ١٧٥ . المسعودي — مروج ، ج ٢ ، ص ٩٥ وما بعدها .

(٣٤) انظر : يحيى بن آدم — الخراج ، ص ٥٧ — ٩ .

(٣٥) ن. م. ص ٢٢ — ٢٣ . ابن وحشية — الفلاحة النبطية (مخطوط — مكتبة احمد الثالث ، رقم ١٩٨٩/١) ، ص ١ — ٢ .

(٣٦) المسعودي — التنبيه ، ص ٣٩ .

(٣٧) يحيى بن آدم — الخراج ، ص ٢٢ ، ص ٤٨ . بحشل — تاريخ واسط (باستناد : كوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٦٧) ، ص ٣٩ — ٤٠ . الطبري ، ص ١ ، ص ٢٠٢٦ ، ص ٢٠٢٨ — ٩ ، ص ٢٠٣١ ، ص ٢٠٣٦ .

(٣٨) العسكري — الاوائل ، ص ١٣٦ . البلاذري — فتوح ، ص ٢٢٦ وبعدها . وانظر : أبو عبيد — الاموال ، ص ١١٣ وما بعدها . الطبري ، ص ١ ، ص ١٢٧٠ .

(٣٩) يحيى بن آدم ، ص ٤٥ ، ص ٥١ . البلاذري — فتوح ، ص ١٤٢ — ٣ . ابو عبيد ، ص ٨٢ — ٨٣ . قدامة بن جعفر — كتاب الخراج (باستناد : دي غوية) ، ص ١٤٥ .

(٤٠) ذكر وكيع ان داود الطائي تكلم امام الحجاج فقال له الحجاج : « انك تتكلم كلام عربي ، والوجه وجه نبطي » مما يشعر بأن تمييز بن يتكلم من النبط انما كان بالوانهم . اخبار القضاة ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(٤١) انظر : المبرد — الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ — ٤٤٠ .

(٤٢) انظر : تاج العروس ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، والبلاذري — فتوح ، ص ١٧٦ . ويصف سعد بن ابي وقاص بانه « نبطي في جبابته » .

(٤٣) كان عمرة كاتب اشرس بن عبد الله امير خراسان سنة ١١٠ هـ نبطيا . انظر : البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٤٤) انظر : رسائل الجاحظ (تحقيق عبد السلام هارون) ج ١ ، ص ٦٦ .

(٤٥) اعتبرت اراضي الحيرة وبانقيا واليس ارض سلسح ، وكان اهل هذه القرى يدفعون جزية مشتركة فقط . انظر : البلاذري — فتوح ، ص ٢٤٢ — ٤ . ابو عبيد — الاموال ، ص ٣٩ — ٤٢ ، ص ١١٦ — ١١٨ . يحيى بن آدم ، ص ٥ . واتبع نفس الاجراء مع عين التمر ، البلاذري — فتوح ، ص ٢٤٨ .

(٤٦) كانت تغلب تدفع ضعف الصدقة ، ابـو عبيد ، ص ٣٩ ــ ٤٢ .

(٤٧) المبرد ــ الكامل ، ج ٣ ، ص ١٠٦٢ ــ ٣ . ويشير البلاذري الى نساج من بني سابم في الكوفة قال : « وان ما شهدت مسكرا قط ولا اثبت اسي اسم قط في ديوان ، وانما انا نساج » انساب (خط) » ق ٢ ، ص ٣ .

(٤٨) البلاذري ــ انساب (خط) ق ٢ ، ص ١٦ . وانظر : يحيى بن آدم ــ الخراج ، ص ٢٠ .

(٤٩) البلاذري ــ انساب (خط) ق ٢ ، ص ٣ ، ص ٨٢٢ . الطبري ، س ٢ ،ص ١٦٨٣ ــ ٤. ديونيسيوس التلمحري (الترجمة الفرنسية) ، ص ٩٣ .

(٥٠) يقول ابن سعد عن العباس بن مرداس بن ابي عامر : « وكان ينزل بوادي البصرة ، وكان يأتي البصرة ، وروى عنه البصريون ، وبقية ولده ببادية البصرة ، وقد نزل منهم قوم البصرة » ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٢١ .

(٥١) Blachere - Histoire de la Literature,t. 3, pp. 276 - 7.

(٥٢) ابو عبيد ــ الاموال ، ص ٢٧٦ . ابو يوسف ، ص ١٥ . ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١١٧ ــ ٨ . الطبري ، س ١ ، ص ٢٣٧٦ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٢٦٨ ــ ٢٦٩ ، ص ٢٨٢ ، ص ٤١٩ ، ص ٤٨٠ .

(٥٣) البلاذري ــ فتوح ، ص ٢٤٢ ــ ٤ . ابو عبيد ــ الاموال ١١٦ . يحيى بن آدم ، ص ٥١ . واكد عمر بن عبد العزيز على أن اهل الحيرة من يهود ونصارى ومجوس لا يدفعون الا الصدقة بعد اسلامهم ، « فمن اسلم ... فعليه في مال الصدقة » . الصولي ــ ادب الكتاب ، ص ٧٥ .

(٥٤) انظر : المبرد ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ــ ٤٠ .

(٥٥) الطبري ، س ٢ ، ص ١٦٤٨ .

(٥٦) ن. م. س ٢ ، ص ٩٧٧ .

(٥٧) ن. م. س ٢ ، ص ١٠١٨ قرية الاعراب .

(٥٨) الازدي ــ تاريخ الموصل ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، ص ٢٨٢ .

(٥٩) ديونيسيوس التلمحري ــ تاريخ ، ص ٤٧ ، ص ٨٩ ، ص ١١٤ ، ص ١٢٩ .

(٦٠) ن. م. ص ٤٧ .

(٦١) ن. م. ص ٩٤ .

(٦٢) انظر : الجاحظ ــ بيان ، ج ٢ ، ص ٧١ . يقول الجاحظ : « وزعم ابو العاص انه لم ير قرويا قط لا يلحن في حديثه ، وفيما يجري بينه وبين الناس » بيان ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٦٣) يقول الجاحظ : « وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظة متخيرا فاخرا، ومعناه شريفا كريما،ويعلم مع ذلك السامع

لكلامه في مخارج حروفه انـه نبطي » رسائل الجاحظ (هارون) ج ١ ، ص ٦٦ .

(٦٤) انظـر : Ryckmans - Arabie Meridionale, p. 67, pp. 71 - 2

(٦٥) ابـو عبيدة ـ النقائض (تحقيق بيفان) ص ٤٢٤ . تـاج العروس ، مادة (ولاء) . وانظر : البلاذري ـ انسـاب ، ج ١ ، ص ١٥٧ ، ص ١٨٩ ، ١٩٢ .

(٦٦) انظر : ابـن هشام ـ السيرة ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٦٧) البلاذري ـ انسـاب ، ج ١ ، ص ١٩٢ ـ ٣ من عطاء خثعم والانصاريان .

(٦٨) الطبـري ، س ١ ، ص ٢٥٢٨ ، ص ٢٥٦٢ . البلاذري ـ فتوح ، ص ١٨٠ . الانسـاب ، ج ٤ ، ت ٢ ، ص ١٠٧ ، ص ١١٢ . الانساب (خـط) ق ١ ، ص ٨٨٣ ـ٠٤.

(٦٩) الطبري ، س ١ ، ص ٢٥٣٨ . انظـر : السرخسي ـ المبسوط (القاهرة ١٩٢١) ، ج ٨ ، ص ٨١٥ .

(٧٠) الطبري ، س ١ ، ص ٢٠٢٨ ـ ٩ ، ص ٢٠٢١ ، ص ٢١٢٢ ، ص ٢١٦٧ ، ص ٢١٧٠ .

(٧١) انظر : الطبري ، س ٢ ، ص ٧٤٨ ، ص ٧٥٠ .

(٧٢) اليعقوبي ، ج ٢ (ط . هوتسما) ص ١٠٥٨ . صالح العلي ـ التنظيمات الاجتماعية في البصرة ، ص ٦٥ .

(٧٣) البلاذري ـ الانسـاب ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ١٨٠ ، ص ١٨٥ . ابـن سعد ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢٦٠ . يقـول الشيرازي عن عبد اللـه بن ابي اسحق انـه « مولى آل الحضرمي وهـم حلفاء بني عبد شمس بن عبد مناف » والصحيح انه العرب مولى » . طبقـات الفقهاء ، ص ٣٧ .

(٧٤) الطبري ، س ٢ ، ص ٨٣٤ ـ ٥ . كون البعض مثـل عباد بن زياد ، والمختـار وسليمان بـن هشام بن عبد الملك كتائب من الموالي . انظـر الطبري س ٢ ، ص ٥٢٣ ـ ٤ . البلاذري ـ انسـاب ، ج ٥ ، ص ١٣٦ ، فتوح ، ص ٤٢٦ . انساب (خـط) ق ٢ ، ص ٤٣ ، ٢٦ . ابن سعد ، ج ٥ ، ص ١٥٠ .

(٧٥) انظر : البلاذري ـ انساب (خـط) ق ١ ، ص ٥٩٦ .

(٧٦) حينما وعـد اشرس امير خراسان (١١٠ هـ) اعفاء مـن يسلم من الزنجية واقبل الناس علـى دخول الاسلام « فجاء دهاقين بخارى الـى اشرس فقالوا . ممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربـا ! » الطبري س ٢ ، ص ١٥٠٥ ـ ٦ .

(٧٧) البلاذري ـ انساب (خـط) ق ٢ ، ص ٧٥٠ .

ولمـا تمنى العريان صاحب شرطة خالد القسري عليه منع الموالـي من استعمال العربية ، أجاب مولى بلهجة ساخـرة « أما الكلام فلـن يتكلم الا بالزنجية ! » البلاذري ـ انساب (خـط) ق ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٧٨) الخصائص لابن جني ، ج ١ ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ ، ابو الطهب — مراتب ، ص ٥ (المقدمين) . انظر : الاغاني (دار الكتب) ج ١٤ ، ص ٢٨٨ .

(٧٩) لسان العرب ، مادة « عرب » .

(٨٠) البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ١٢٥٨ ، ص ١٧٧ .

ومع أن الولاء لا يساوي النسب تماما ، فانه قد يؤدي الى الاندماج في الجماعة العربية « الاسلامية » . انظر الخلاف حول نسب ابراهيم النخعي في المبرد ، ج ٣ ، ص ١١٨٤ . وجاء في ابن سعد على لسان سعيد بن جبير — « وقال لي ابن عباس : ممن انت ؟ قلت من بني اسد ، قال : امن عربهم أو مواليهم ؟ قلت : لا ، بل من مواليهم ، قال : فقل انا ممن انعم الله عليه من بني اسد » . الطبقات ، ج ٦ ، ص ١٩٨ .

(٨١) جاء في البلاذري ، أن هشام بن عبد الملك سأل رجلا من بني مخزوم (اخواله) : « يا خال ! اتقرأ كتاب الله ؟ قال : اقرأ منه ما اقيم به صلاتي ، قال : افتروي من الاشعار شيئا ؟ قال : لا ، قال : افتعرف احاديث العرب واشعارها وايامها مما يعرفه مثلك ؟ قال : لا ، قال : افتنسب قريشا وسائر بني نزار ؟ قال : لا احسن من النسب شيئا . قال : يا غلام ... فليس من خالنا حشمة » . انساب (خط) ق ٢ ، ص ٢٤٠ . وانظر : الجاحظ — البيان ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

(٨٢) ان استعراض اسماء من ترجم لهم (من فترة صدر الاسلام) في مؤلفات مثل طبقات ابن سعد ، واخبار القضاة لوكيع ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ، وتذكرة الحفاظ الذهبي ، ونزهة الالبّاء في طبقات الادباء للانباري ، يبين أن الموالي كانوا اقلية — حوالي ٢٥ — ٣٠٪ .

(٨٣) يروي الاعمش عن هلال بن يسار « قال : قدمت البصرة فدخلت المسجد فاذا انسا بشيخ ابيض الراس واللحية ، ممتند الى اسطوانة في حلقة يحدثهم ، فسألت من هذا ؟ فقالوا عمر بن الحصين » (ت سنة ٥٣ هـ) ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٥ .

(٨٤) انظر : ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٥١ — ٥٢ ، ص ٥٤ ، ص ٥٥ ، ص ١٧٣ ، ص ١٩٢ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٣٦ . الطبري س ٢ ، ص ١٩٦٦ .

(٨٥) في الذهبي — معرفة القراء الكبار (القاهرة ١٩٦٧) ج ١ ، ص ٤٦ « فكنا نتعلم القرآن والعمل به » . وانظر : ص ٤٨ ، ص ٧٣ — ٧٤ . وانظر الشيرازي — طبقات الفقهاء (باعتناء احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠) ص ٤٣ ، ص ٤٤ ، ص ٤٦ ، ص ٥١ .

(٨٦) البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٥ ، ص ٧٦١ . وانظر : ابن سعد ، ج ٤ ، ق ٢ ، ص ٢٧ . الذهبي — القراء الكبار ، ص ٣٤ ، ص ٣٧ — ٩ .

(٨٧) البلاذري — انساب ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

(٨٨) الشيرازي — طبقات الفقهاء ، ص ٨١ ، وانظر : البلاذري — انساب (خط) ق ٢ ، ص ٧٥٥ ، ج ٥ ، ص ٣٦ . ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤ ، ص ٥ ، ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٦٣ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١٦٣ . السجستاني — المصاحف (تحقيق

جفري) ، ص ١٣ — ١٥ . الاصبهاني — حلية ، ج ١١ ، ص ٩٤ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ص ٣٨ — ٩ .

(٨٩) وقد رشحهم أبو موسى لشرف العطاء ، ابن سعد ، ج ٧ ، ق ١ ، ص [illegible] . واقترح سعد بن ابي وقاص جعلهم في القين ، البلاذري — فتوح ، ص [illegible] . جاء رسول مصعب بن الزبير الى عمرو بن النعمان بن مقرن (في البصرة) بمال فقال له : الامير يقرئك السلام ويقول : انا لم ندع بالكوفة فارئا الا وصله فاله بمروتنا فاستعن على نفقة شهر رمضان بهذا . فقال : وعلى الامير السلام ، قل له انا والله ما قرانا القرآن لنطلب به الدنيا ، ورده عليه » . البلاذري — انساب ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ .

(٩٠) انظر مثلا : الطبري ، س ١ ، ص ٣٢٧٣ ، ص ٣٢٨٣ ، س ٢ ، ص ١٠٠٦ ، ص ١٠٧٢ ، ص ١٠٧٦ — ٧ . ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤٦ ، ص ١٢٧ ، ص ١٠٤ ، ص ٢١٦ ، ص ٥٣ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ٦٥ . البلاذري — انساب (مخطوط) ، ق ٢ ، ص ٣٠ — ٣١ ، ص ٥٤ . المبرد — الكامل ، ج ٢ ، ص ١١٢٧ ، الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٦٢ — ٦٣ ، ص ٧٦ .

(٩١) الطبري ، س ١ ، ص ٢٠٩٢ . البلاذري — انساب (مخطوط) ، ق ٢ ، ص ٥٢ . ابن سعد ، ج٧، ق ١ ، ص ١١٤ ، ص ١٤٠ ، ج ٧ ، ق ٢ ، ص ٢١ ، ص ١٧١ . وانظر : الذهبي — القراء الكبار ، ص ٦٨ .

(٩٢) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٤٤ — ٥ .

(٩٣) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٤ ، ص ٧٤ ، ج ٧ ، ق ١ ، ص ١١٤ . الاصبهاني — حلية ، ج ٢ ، ص ٩٨ — ٩٩ . الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ص ٦٢ — ٣ ، ص ٧٥ ، ص ٧٩ .

(٩٤) ابن سعد ، ج ٦ ، ص ٥ ، ص ٦٣ . الذهبي — تذكرة الحفاظ (دار المعارف العثمانية ١٣٣٣ — ٣٤) ج ٨ ، ص ١٠٦ . وانظر : الشيرازي — طبقات الفقهاء ، ص ٨٠ ، ص ٨١ ، ص ٨٢ — ٨٣ ، ص ٧٩ . الذهبي — القراء الكبار ، ص ٥٤ .

(٩٥) ابن سعد ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٩٦) انظر : الذهبي — القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ص ٥٤ ، ص ٥٦ ، ص ٦٢ — ٦٣ ، ص ٩٣ .

(٩٧) انظر : الطبري ، س ١ ، ص ٢٢١٢ ،

Bravamann - Spiritual Background of Early Islam, pp.169 off, pp. 176off.

(٩٨) ابو زهرة — المذاهب الفقهية ، ص ٢٧ وما بعدها ، ص ٢٩ وما بعدها . وانظر :

Schacht - Origins of Muhammadan Jurisprudence (Oxford 1959), pp. 25 off., pp. 82 off.

(٩٩) Schacht - Introduction to Law, pp. 16 off. P. 233 , P. 237 , P. 247

(١٠٠) انظر : فؤاد سزكين ـ تاريخ التراث العربي ، ج ١ ، ص ٢٢٦ وما بعدها ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٦٠ ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(١٠١) انظر : ابن حجر ـ تهذيب ، ج ١٢ ، ص ٩٩ ، طلب عمر بن عبد العزيز من أبي بكر بن حزم كتابة « ما كان من حديث رسول الله او سنة ماضية او حديث عمرة » . اليافعي ـ مرآة الجنان ، ج ١ ، ص ٢٦١ . الدوري ـ علم التاريخ عند العرب ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ . الرامهرمزي ـ المحدث الفاضل (بعناية محمد عجاج الخطيب) ص ٤٢٣ ، ص ٤٣٠ .

(١٠٢) سزكين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(١٠٣) انظر : ابن سعد ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٢٤ . الطبري ـ تفسير ، ج ٧ ، ص ١٢٩ . ابن حجر ـ الاصابة (القاهرة ١٩٣٩) ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . الف ابن عباس كتاب لغات القرآن (نشر باعتناء المنجد ، القاهرة ١٩٤٦) .

(١٠٤) انظر : الجاحظ ـ الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٤٣ . وعرف مجاهد (ت ٧٢٢/١٠٤) باستعمال الرأي . سزكين ، ج ١ ، ص ١٧٦ وما بعدها . جولد تسيهر ـ المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ، ص ٧٥ وما بعدها ، ص ٦٨ ـ ٨٨ .

(١٠٥) سزكين ، ج ١ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، بروكلمان ـ تاريخ الادب العربي ، ج ٤ ، ص ١٧٣ وما بعدها .

(١٠٦) انظر : بلاشير ـ تاريخ الادب العربي . شوقي ضيف ـ التطور والتجديد في الشعر الاموي (ط ٥ ، ١٩٧٣) .

(١٠٧) الجاحظ ـ البيان ، ج ١ ، ص ١٩ . انظر : السيوطي ـ المزهر ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ . الزبيدي ـ طبقات النحويين (باعتناء ابي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، ص ١٤ . الانساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨١ . ابو الطيب ـ مراتب ، ص ٥ .

(١٠٨) يقول أبو الطيب : « ان اول ما اختل من كلام العرب فاحوج الى التعليم الاعراب ، لان اللحن ظهر في كلام المولدين والمتعربين بعد عهد النبي » . مراتب النحويين (أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٧) ، ص ٥ . وانظر : السيوطي ـ المزهر ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ . والزبيدي ـ طبقات النحويين (باعتناء ابي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤) ، ص ١٤ .

ويروي السيرافي ان ابا الاسود قال لزياد : « اني رايت العرب قد خالطت الاعاجم وتغيرت السنتهم .. » انظر : اخبار النحويين البصريين (باعتناء كرنكو) ص ١٧ ـ ١٨ . وانظر : البلاذري ـ انساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨٩ عن اللحن ايام زياد . ويشير بحشل ، تاريخ واسط ، ص ٤٦ الى الاختلاط في الكوفة والبصرة . ويتحدث المبرد عن عدد من العرب البارزين ممن عرفوا بلكنتهم الاعجمية (مثل عبيد الله بن زياد ، وزياد الاعجم) الكامل ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ ـ ٦ . وانظر : الزبيدي ـ طبقات ، ص ١٤ . وكان زياد يقول : « اذا لم يجد احدكم سعة لتزوج من يرغب فيه لموضعة فليتزوج سبية » . البلاذري ـ انساب ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٨١ .

(١٠٩) الطبري ، س ١ ، ص ٢٨٠٢ ـ ٤ .

(١١٠) الزبيدي ــ طبقـات النحويين ، ص ١ ــ ٢ .

(١١١) أنظر : فوك ــ العربيـة ، ص ٢٩ ــ ٣٠ .

(١١٢) أنظر : عبـد العال سالم مكرم ــ القـرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية ، ص ٤٨ ومـا بعدها . ابن النديم ــ الفهرسـت ، ص ٥ ،

Haywood - Arab Lexicography, p. 25 off.

الزبيدي ــ طبقـات ، ص ١٣ ــ ١٤ ، السيوطي ــ المزهـر ، ج ٢ ، ص ٣٩٨ . الداني : نقط المصاحف (دمشق ١٩٦٠) ص ١٣٢ ــ ٣ . وينسب البعض نقط الاعجام الى نصر بن عاصم (٧٠٧/٨٩) ، انظر : المصاحف للسجستاني ، ص ١١٨ . الذهبي ــ معرفة القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ص ٥٨ . وجاء في الذهبي « قال خلف بن هشام كنت احضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهـم » . معرفة القراء الكبار ، ج ١ ، ص ١٠١ ، وانظـر ص ١٠٢ . ابـو الطيب ــ مراتب ، ص ٨ .

(١١٣) السيرافي ــ اخبـار ، ص ٢١ وما بعدها ، السيوطي ــ المزهـر ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ . الذهبي ــ القراء الكبـار ، ج ١ ، ص ٧٣ ــ ٥ ، ص ٨٤ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٦ . شوقي ضيف ــ المدارس النحويـة ، ص ١٨ .

(١١٤) معرفة القـراء الكبار ، ص ١٠١ . وانظـر : الزبيدي ــ طبقات ، ص ٢ . ابـو الطيب ــ مراتب ، ص ٢٤ ، ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، ص ١٢٧ ، ص ١٦٥ . السيوطي ــ المزهـر ، ج٢ ، ص ٣٠٢ .

(١١٥) وهكـذا وقف ابو عمرو بن العـلاء وتلميذه يونس بـن حبيب الى جانب السماع . وانظر : السيرافي ــ اخبـار ، ص ٢٥ ، ص ٣٣ ــ ٤ . شوقي ضيف ــ المدارس النحويـة ، ص ١٩ ــ ٢٠ .

(١١٦) تتمثل نظرة الكونـة في القول : « كل مـا كان لقبيلة قيس عليه » ، السيوطي ــ المزهـر ، ج ١ ، ص ٧٥٨ . انظر : احمـد أمين ــ ضحى الاسلام (ط ٧ ، القاهرة ١٩٣٥) ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ وما بعدها . شوقي ضيف ، ص ١٥٧ ــ ١٦١ .

(١١٧) قـال عاصم بن ابي النجود الاسـدي (القارىء) : « من لم يحسن من العربية الا وجها واحدا لـم يحسن شيئا » . الذهبي ــ معرفة القراء الكبـار ، ص ٧٥ . انظر : شوقي ضيف ــ المـدارس النحوية ، ص ١٩ ، ص ١٥٧ ــ ١٥٨ .

(١١٨) أنظر البلاذري ــ انسـاب (خـط) ق ٢ ، ص ٨٣٦ ــ ٣٧ ، ضمن المفضل الضبي .

(١١٩) الجاحظ ــ بيـان ، ج ١ ، ص ٣١١ ، والمرزباني ــ مختصر ، ص ٢٦ ــ ٢٧ ، ص ٢٥ . بلاشـير ــ تاريخ الادب العربي ، ج ١ ، ص ١٢٣ ، وانظـر : نهاد الموسى ــ ابـو عبيدة معمر بن المثنى (رسـالة دكتوراة خطية) ، ص ٨٢ ، ومـا بعدهـا .

(١٢٠) ابـو الطيب ــ مراتب ، ص ٣٩ ــ ٤٠ . الذهبي ــ القراء الكبـار ، ج ١ ، ص ٨٣ ومـا بعدها . السيوطي ــ المزهـر ، ج ٢ ، ص ٤٠١ . يقول السيرافي عن يونس بـن حبيب : « وقد سمع من العرب كما سمع من قبلـه ... وكانت

حلقته بالبصرة بنقابها أهل العلم وطلاب الادب وفصحاء الاعراب والبادية » .
أخبار النحويين البصريين ، ص ٢٣ — ٢٤ .

(١٢١) انظر : المخزومي — مدرسة الكوفة ، ص ٧٩ وما بعدها . شوقي ضيف المدارس النحوية ، ص ١٥٥ وما بعدها . بروكلمان — تاريخ الادب ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، ص ١٧٩ وما بعدها .

(١٢٢) ابو الطيب — مراتب ، ص ٣٠ — ١ .

Haywood, op. cit. p. 24 off., p. 68 off.

(١٢٣) ذكر المبرد : « قال معاوية يوما : من افصح الناس ؟ فقام رجل فقال : قوم تباعدوا عن فراتية العراق وتيامنوا من كشكشة تميم وتياسروا عن كشكشة بكر ، ليس فيهم فحمة قضاعة ولا طمطمانية حمير » ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٥٨١ .

(١٢٤) الجاحظ — البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ . وانظر : ج ١ ، ص ٣٦٨ .

(١٢٥) بحشل — تاريخ واسط ، ص ٢٦ .

(١٢٦) يقول الجاحظ : « ولم أجد في خطب السلف الطيب والاعراب الافتاح الفاظا مسخولة ولا معاني مدخولة ولا قولا مستكرها ، واكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين وفي خطب البلديين المتكلفين ، ومن اهل الصنعة المتأدبين » .
البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٨ — ٩ .

(١٢٧) انظر : Fuck - Arabiya (Paris 1955), p. 9 off.

(١٢٨) انظر : الدوري — بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب . روز نتال — علم التاريخ عند المسلمين . جسب — دراسات في حضارة الاسلام ، مقال : التاريخ .